

كيفية التعامل مع فوضىة الطفل



تقف كثير من الأمهات حائرات أمام حالة الفوضى التي تنشر في شتى أنحاء البيت والتي تدفعها في أغلب الأحيان إلى حافة الانهيار (والتي تتكلم في الغالب بالبكاء) والشعور بالإرهاق؛ فهي للتو قد فرغت من ترتيب المكان وجمع الألعاب والأشياء التي بعثرها الأولاد؛ لكنها مضطرة الآن لإعادة الكرة مرة أخرى وترتيب البيت من جديد.

لقد أتعبها هؤلاء الصبيان فهم أشبه ما يكونون بالشاحنات الصغيرة التي تسير على الطرق الرملية والتي تثير خلفها العواصف الرملية وسحب الغبار أينما توجهت.. إنهم حقاً فوضيون لا يحيون الترتيب والتنسيق إطلاقاً بل يجدون لذة كبيرة في ترك المكان مقلوباً رأساً على عقب وفي فترة قياسية جداً.

والأسوأ من ذلك أن يكون الصبي الفوضوي يعتمد الفوضى بشكل استفزازي، خاصة وأنّه قد وضع يده على نقطة ضعف أمّه أو أبيه فيقوم بمعاقيبتها بهذا الشكل؛ ورغم كل المحاولات التي يبذلها هذان الأبناء المسكينان فهو يعتمد عدم إطاعة أي أمر حتى لو كان بسيطاً، وقد يضاف إلى ذلك حالة الغرور التي تدفعه إلى عدم إتقان واجباته فيؤديها باستهتار مستمر، رغم أنّه يتعرض للعقاب على تلك الأفعال التي لا يمكن التغاضي عنها أو إهمالها. خاصة لو كان الطفل كبير إخوته بحيث يعتبره الأبناء قدوة لهؤلاء الإخوة.

تحوّل مفاجئ:

كثيراً ما نتجاهل مشاعر أو دوافع أبنائنا في تصرفاتهم المختلفة وتقلبات أجسامهم وأمزجتهم؛ فهم مثلنا - نحن الكبار - يتعرضون لفترات توتر أو حزن أو حيرة، وتكون فترة العاشرة تقريباً - في الغالب - فترة الشكوى من الأبناء.. لماذا؟

السيد؛ لأننا نكون قد اعتدنا على أبنائنا - منذ طفولتهم - مسالمين؛ نفرح لحركاتهم وضحكاتهم،

ثم فجأة نريدهم أن يتصرفوا كالناضجين تماماً بعد أن فاجأنا نموهم الجسمي السريع الذي حدث كالبرق الخاطف وبدد حالة النشوة التي كانت تغمرنا في فترة طفولتهم.

إنَّ المرحلة العمرية التي ينتقل فيها الطفل من مرحلة الطفولة إلى مرحلة اليفاعَة تعتبر بداية الانتباه إلى فكرة المراهقة وتداعياتها، ويبدأ الأولاد فيها بسماع قصص ومعلومات عن المراهقة أكثرها خاطئ - بالطبع - ومفلق، ويتصرف أطفالنا حيالها بشكل خاطئ، كما أنَّ الأولاد في هذه السن يرغبون في إثبات شخصياتهم ووجودهم، والتأكيد على أنَّهم أصبحوا أكبر مما نعتقد. وكلَّ هذا يحدث في وقت واحد وفي هذه السن بالتحديد، ولأنَّنا ما زلنا ننظر إليهم كأطفال - أو نتمنى أن تطول طفولتهم - فلا نلاحظ ما يملكون به من تغيير أو نتغافل عنه - في بعض الأحيان، فننتجahl إعدادهم للتعايش مع مرحلة النضج هذه، وإعداد أنفسنا للتعامل معهم بطريقة جديدة تتناسب مع دخولهم في هذه المرحلة.

إنَّ أهم ما في الأمر هو أن يدرك الأبوان بأنَّ كثيراً من تصرفات الأولاد في هذه المرحلة العمرية الانتقالية هي طبيعية جداً إلا أن تكون الحالة مفرطة جداً ومتجاوزة لحدود المعقول وبالتالي فهي حالة مرضية تحتاج إلى علاج أكيد. لكن وبشكل عام فإنَّ هناك عدة مقترحات لتقويم سلوك الطفل الفوضوي في هذه المرحلة العمرية، وبالتالي يمكن للوالدين في حال أظهرتا تفهماً حقيقياً لنفسية طفلها أن يحلوا الكثير من مشاكله ويدركا طبيعة متطلباته.

محطات مهمة:

هناك عدة أمور يجب على الوالدين أن يلحظاها لحل مشاكل طفلها في هذه المرحلة العمرية، وهي:

1- لا بد أن يكفَّنا بداية عن موضوع "أوامري وقوانيني وأنظمتي في المنزل تنفذ ولا تناقش"، بل ليقبل كل واحد منهما لنفسه كلما صادفنا إزعاجاً من ولدهما: "عليَّ أن أتعامل بسعة وهدوء وتفهم أكثر"; ويقول أحد الخبراء في هذا المجال: "إنَّ عصيان الأوامر عامة مصدره الرغبة في إثبات الوجود، وانصراف الاهتمامات الذهنية والجسدية للابن بشؤون أخرى مختلفة تماماً عما يفكر به الوالدان من الالتزام بالنظافة، وترتيب السرير، وتنظيف الأسنان قبل النوم... إلخ من قوانين البيت اليومية، حيث تصبح هماً وعبئاً على الأولاد والشغل المشاغل للوالدين، خاصة عندما يبدأ الطفل في العصيان ويصرح بإهماله وفوضويته تدمراً على الأوامر بأشياء ليست في أولويته، حتى أن الأب والأم لا يكاد أحدهما يتحدث مع ولده في أي موضوع آخر سوى الأوامر والنواهي والقوانين!!".

ولابد من التذكير هنا بأنَّ إصدار العقوبات بين الفينة والأخرى تضر كثيراً إذ إنَّ المعاقبة المتكررة تفقد العقاب أهميته، خاصة إذا كان في غير مكانه وبطريقة غير تربوية.

2- على الأبوين أن ينظرا إلى ابنهما اليافع كرجل وكما ينظر هو إلى نفسه، وبهذا الخصوص يؤكد خبراء العلاقات الاجتماعية على: "ضرورة أن يعامل الأبوان ابنهما اليافع معاملة الرجال؛ فيتقربا منه، ويسمحا له بما يؤكد تفهمهما له واحترامهما لنموه؛ فيحاولا إشراكه في سهراتهما العائلية، وأخذه معهم إلى المطعم والجلوس معه وحده لإعطائه الأهمية والاستماع لما يزعجه ويقلقه، فقد يكون يواجه ضغطاً في المدرسة من زملائه، أو يكون قد تعرف على زميل يحدثه عن مخاوف وقلق سن المراهقة أو أية قصص أخرى تسهم في ازدياد توتره وقلقه، وربما هناك مشكلة مع أستاذ أو جيران...".

أو غيرها من المشاكل الأخرى التي قد يواجهها".

3- كما يجب على الأبوين أن يحسنا الاستماع إلى ابنهما اليافع حتى النهاية، وأن يعترفوا بمشاعره، ويحاولوا التخفيف عنه ومشاركته وعدم السخرية منه أو فضح أسرار له أو توجيه الانتقاد له، مهما كانت المشكلة حساسة وتمس مشاعر الأبوين.

4- على الأبوين أن يتوقفا عن اعتباره قدوة لإخوته فهذا يشكل ضغطاً نفسياً عليه، فهو لا يزال طفلاً مثلهم، ومن حقّه أن ينال الحنان، والضحك، والضم، واللعب مثلهم تماماً، وقد يكون مصدر غروره زرع موضوع القدوة فيه، وهو في سن غير مناسبة، وهو ما يسبب له توتراً من جهة وغروراً من جهة أخرى؛ لأنَّه الأكبر وعلى إخوته أن يقلدوه.

5- على الأبوين أن يتعاملا مع الطفل في تلك المرحلة العمرية بصدقة، وأن يحترما مشاعره ولا يستفزاه، بل يتعاملا معه بهدوء وتسامح إلى حد كبير - طبعاً في حدود المعقول -، وأن يساويا بينه وبين إخوانه في النظرة والحنان وطريقة التعامل؛ فقد يكون كلٌّ ما يقوم به بدافع الغيرة من إخوته، والاهتمام بهم أكثر منها؛ لأنهم أكثر هدوءاً وذكاءً ونظافة... إلخ، وأن يتوقفا عن مقارنته بأحد.

6- لا بدّ من دوام السؤال عنه في المدرسة وتشجيعه، وتقديم الهدايا له كمكافآت، وتسجيله في أحد النوادي الرياضية الترفيهية أو الدورات الثقافية الدينية الترفيهية التي تقيمها المساجد والحسينيات - والتي أصبحت ظاهرة صحّية هذه الأيام - وتشجيعه على حفظ القرآن الكريم والنشاطات المختلفة التي تساعد على التعبير عن ذاته ومشاعره.

7- على الأب أن يتحدث مع ابنه اليافع بصراحة عن فترة المراهقة، وليفتح له صدره ليسأل ما يريد، ويقول أحد الخبراء في هذا المجال: "إنّ الأب سيتفاجأ عندما يعرف بأنّ لدى ابنه المراهق أسئلة كثيرة لا تخطر على باله أو بال والدته تملأ دماغه، فعليهما القيام بتوفير الراحة النفسية والذهنية له بالإجابة على أسئلته وتوضيحها، مهما كانت حسّاسة وبكلّ منطقيّة وبعيداً عن التخويف أو التهويل أو الخطأ، حتى لو اضطررا إلى اللجوء إلى مختص بهذا الشأن".

ملاحظة أخيرة:

لا بدّ من تذكير الوالدين في الختام بأنّ الأولاد يتفاوتون في اهتماماتهم وقدراتهم العقلية، ومنهم من يتقن واجباته وأعماله بذكاء، ومنهم من لا تلفت نظره أصلاً هذه الأمور، فعليهما ألا يعتقدوا أنّ أبناءهما يجب أن يكونا مثلهما تماماً، وأن لا ينسبوا أنّهما كانا مثلهم يوماً ما، ولم يصبحا مربين ومسؤولين إلا عندما كبرا ونضجا.

الكاتب: السيد أحمد باقر

المصدر: كتاب فنّ تربية الطفل